

## دراسة مفهوم الآية «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» وفقاً لنهج الأنثروبولوجيا الثقافية

زهرا محققيان\*

### الملخص

تعتبر الآية الثانية من سورة الزلزلة التي تعلن إخراج الأرض أثقالها وتحديثها يوم القيامة، من قبل العديد من المفسرين وعلماء القرآن أنها معتقدات مجازية متعلقة بيوم القيامة التي تكشف عن وظائف استعارية للأرض في القرآن الكريم، في حين أن استكشاف المعتقدات الثقافية القديمة لبلاد ما بين النهرين وأرض القبائل السامية يدل على أن ما ورد في هذه الآية ليس استعارياً أو مجازياً فحسب، بل يعتمد على معتقدات الأعراب السابقين وغير الأعراب والتي قد وصلت الآن إلى آيات القرآن الكريم على محمل اللغة. يتناول هذا المقال بعد تحليل آراء المفسرين في تفسير الآية المذكورة، تداعيات تويد هذا الادعاء، ويعيد قراءة الآية المذكورة في السياق الذي استندت إليه، بناءً على الفهم الثقافي (المعرفة الثقافية) لما قبل الإسلام وفضلاً عن الأدبيات التفسيرية في القرون المتقدمة.

**الكلمات الرئيسية:** الأنثروبولوجيا الثقافية، الرمز، الأرض، لسان القال والحال، المجاز، الاستعارة.

\* استاذة مساعدة في معهد الدراسات القرآنية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية،

z.mohagheghian@ihcs.ac.ir

تاريخ الوصول: ١٣٩٨/٠٧/١١، تاريخ پذیرش: ١٣٩٨/١١/١٠

## ١. المقدمة

ثمة قضايا عدّة مطروحة حول الأرض في القرآن الكريم والتي تكشف عن قيمها و وظائفها بطرق مختلفة، إذ سبب شرح الآيات وتفسيرها رغبة المفسرين وعلماء القرآن في ولوجهم إلى صناعات أدبية متنوعة كالمجاز، والتشخيص، والاستعارة، وما إلى ذلك وقد قاموا بتحليل وتفسير هذه الآيات، على أساس المجاز في اللغة القرآنية.

وعلى صعيد آخر تكشف النظرة على الخلفية الدينية والثقافية لشعوب ذلك العصر حول الأرض أنّ ما يوجد في اللسان والثقافة العربية القديمة ليس مجازياً أو استعارياً به فحسب، بل يعتمد على معتقدات راسخة في ثقافة الأعراب السابقين وغير الأعراب التي قد دخلت وتضمّنت كالعناصر الثقافية الأخرى إلى الآيات القرآنية وتلك على محمل اللغة والبلاغة. وفي الأدوار اللاحقة وعبر السّنة الإسلامية أنه بسبب نموّ العقلانية الإنسانية، قد فقدت هذه المعتقدات تدريجياً بعدها الحقيقي ودخلت إلى عالم التفسير الاستعارية والمجازية أو التعابير الشعرية. ومن هذه المعتقدات هي الاعتقاد بأنوثة الأرض التي طالما حظيت بشعبية كبيرة بين الأمم القديمة بما في ذلك العرب القدامى، وقد تمّ تقديمها أيضاً، وقد وصلت الأدلة وشواهد هذا الاعتقاد حتى عصر نزول القرآن الكريم وقد انعكست في الآيات المختلفة بما في ذلك الآية الشريفة ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَاطًا﴾ (الزلزلة/٢).

### ١.١ مسألة البحث

لقد سعى هذا المقال الإجابة على الأسئلة التالية: ما هي مكانة الأرض في المعتقدات القديمة في منطقة الأعراب وأرض الشعوب السامية؟ وكيف ظهر هذا الدور في آيات القرآن الكريم؟ هل يمكن إثبات حقيقة اللغة القرآنية في بعض الآيات كآيات سورة الزلزلة، بناءً على معتقدات المخاطبين في عصر النزول؟ كيف كان نهج المفسرين في تفسير آيات سورة الزلزلة، وإلى أي مدى تتفق مع البنية النصية للقرآن والسياق الخطابي وراء النصّ؟

دراسة مفهوم الآية «وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا» وفقاً لنهج الأنثروبولوجيا الثقافية ٢٢١

للإجابة على الأسئلة المذكورة، ستدرس أولاً من خلال نهج الأنثروبولوجيا الثقافية مكانة الأرض في معتقدات الشعب القديم ودراسة الوظائف الدينية والطقوسية الشعائرية للأرض. ثم من خلال دراسة سياق سورة الزلزلة وموقف الآية المعنية، ستصنف صياغة التركيبات المستخدمة في الأقوال والمصطلحات الحرفية اللغوية والتفسيرية. وأخيراً يعاد النظر إلى الآيات في ضوء النتائج الثقافية. وفقاً لتحقيقات الكاتبة، لم يكن حتى الآن أي بحث مستقل عن المعتقدات الثقافية للأعراب القديم حول الأرض وانعكاسها على القرآن الكريم، ويبدو أن النص الحالي رائداً في هذا الصدد.

## ٢.١ خلفيّة البحث

أهم وأقرب الأبحاث للمقالة الحالية هي أبحاث محققين عن تجليات معتقدات ثقافية للشعوب القديمة في القرآن الكريم. وعلى سبيل المثال درست محققان في مقالة مستقلة المعتقدات الثقافية المرتبطة بأوممة الأرض بين العرب القدامى ثم ناقشت انعكاساتها على ثانياً آيات القرآن الكريم. هي فصلت بين ثلاثة أفكار مكتملة في هذا الطريق، وهي أنّ الأرض مسقط رأس الإنسان، أنّ الأرض، مقبرة الإنسان وأنّ الأرض مسقط رأس الثانوي للإنسان أيضاً (انظر: محققان، ١٣٩٦، في جميع أنحاء المقالة).

وفي مقالة أخرى ناقشت محققان (محققان، ١٣٩٨ ألف) المعتقدات الأسطورية للشعوب القديمة حول أنوثة الأرض (وليس أمومتها) وعلاقتها الزوجية مع السماء وكيفية انعكاسها في القرآن الكريم. هي قد ناقشت أيضاً كيفية انعكاس سائر المعتقدات الثقافية المتعلقة بالكائنات الطبيعية الأخرى كالقمر والشمس والنجوم في القرآن الكريم في أبحاثها الأخرى (محققان، ١٣٩٨ ب، نفس المصدر).

لهذا السبب يمكن اعتبار هذه الدراسة تمهيداً لمحاولة محققين لدراساتها السابقة، إذ تحاول أن تحلل إحدى الآيات القرآنية المتعلقة بأوممة الأرض على وجه التحديد عبر التحليل التاريخي، ثم تصنف تعليقات وأقوال المفسرين وعلماء القرآن أذناه.

### ٣.١ الإطار النظري

الإطار الرئيس لهذا البحث هو نهج الأنثروبولوجيا الثقافية (Cultural Anthropology) الذي يدرس المعتقدات الثقافية للشعوب القديمة عن الأرض ويبحث عن المعتقدات القديمة العهد بينهم. ويؤكد فيه على الثقافة وتحديد هويتها وعلى أن جميع أركان الحياة الاجتماعية تتركز على محور الثقافة وتشكل حسب نوع الثقافة، لذلك يمكن شرح و تبيين ظواهر قوم ما أو مجموعة ما من خلال الثقافة، والثقافة هي المفتاح لفهمها (ساروخاني، ١٣٧٠: ٣٣).

تركز الأنثروبولوجيا الثقافية على الثقافة لأن الثقافة هي دراسة سلوك الإنسان الاجتماعي ونتائجه المتحصلة، ويدرس هذا التخصص العلمي أنماط حياة الناس وأنظمة المعتقدات والعلوم، والفنون، والأفكار والعقائد، والصناعات، والتقنيات، والأخلاق، والقوانين، واللوائح، والقيم والآداب، والعادات، والقواعد والممارسات والنماذج الثقافية للناس. وبعبارة أخرى الأنثروبولوجيا الثقافية هي نوع من العلم بالثقافات، إذ تقوم بدراسة الثقافة في الزمان والمكان وتسعى إلى دراسة مدى قدرة الإنسان على التكيف مع بيئته المادية والاجتماعية. وتقوم أيضاً بفحص مجتمعات بشرية معينة ودراسة الأنماط السائدة في ثقافتها وتصف وتحلل أوجه التشابه والتفاوت بينهما (قراي، ١٣٨٢: ١٨).

وعلى مدى مائة عام منذ ظهور علم الأنثروبولوجيا الثقافية، تم تطوير ومناقشة مجموعة متنوعة من النظريات، إذ تتعامل هذه النظريات القضايا التقليدية والقضايا المعاصرة أيضاً، وكلها معنية بقضية التطور والتنوع الثقافي. وأخيراً تحظى هذه المقالة بهذا المنهج وتحاول دراسة مكانة الأرض في المعتقدات الثقافية للشعوب القديمة بما في ذلك الشعب السامي.

### ٢. مكانة الأرض في معتقدات الشعوب القديمة

وفقاً لما يُرى في أساطير مختلف شعوب العالم بما في ذلك شعوب بلاد ما بين النهرين وأرض الشعوب السامية، فإن الأرض هي العنصر الطبيعي الأول والأكثر أهمية الذي كان يهتم البشر القدامى وهي كأحد الأعمدة الرئيسة للأساطير، ومنشأ خلق الإنسان وغيره من الكائنات

دراسة مفهوم الآية «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْبَاءَهُمْ» وفقاً لنهج الأنثروبولوجيا الثقافية ٢٢٣

البشرية التي قد قُدّست وعُبدت أيضاً. بحسب دراسات الباحثين والسيمايين من ثقافات مختلفة، ثمة أعداد غفيرة من المعتقدات والطقوس المتعلقة بالأرض وأهلها لأن الأرض كانت تعتبر أساس الكون بالمعنى الحرفي للكلمة ولديها المزيد من الميول المذهبية ولذلك كانت تعبد وقد شكّلت العديد من الرموز من حولها (انظر اليادة، ١٣٧٢: ٢٣٨).

وفي غضون ذلك، فإن أهم دور للأرض هو طابعها الأم، الذي لعب دوراً أساسياً في جميع أساطير العالم كعنصر الأوثنة، بما في ذلك الأساطير العربية (راجع غيريشمن، ١٣٥٥: ٣٠). يرجع أصل هذه المسألة، أي أوثنة الأرض، إلى أوجه التشابه الطبيعية للغاية للأرض مع الإناث أي الأم البيولوجية للبشر حيث تربط الاثنين معاً لأن الحياة انبثقت من كليهما، ولكليهما اعتناقاً دافعاً للإنسان وكان النمو وتلبية الاحتياجات الأساسية الإنسانية منهما (إلياده، ١٣٧٢: ٢٥٤).

وفقاً للمصادر وتقارير علماء الآثار، وحتى قبل بداية هذه الفترة (أي إبان تقديس الأرض) كانت حياة الناس تدار بالصيد ثم الرعي، وبالتالي كان البشر محكومين عليهم بالإجبار إلى الهجرة والمغادرة الدائمة والمستمرة من مكان إلى آخر بغية زيادة الإنتاج والكفاءة. (أنظر: أكرمن و آرتوب، ١٣٨٧: ١ / ٥٣-٥١). ولكن منذ حوالي عشرة آلاف سنة من قبل، قد جُفّت مناطق كثيرة وخرجت الأراضي من المياه وأصبحت صالحة للزراعة. وبسبب هذه التغييرات والتعارف الإنساني مع الزراعة وقواعدها وقدرات الأرض في إنتاج الغذاء، تم إجراء بعض التحسينات في حياة الناس (أنظر: ديورانت، ١٣٦٥ ش: ١ / ١٠-٨). وقد جعل هذا، دور الأرض باعتباره تجسيداً للخصوبة والتكاثر، أكثر وضوحاً وصراحةً، بحيث أصبحت الأرض ذو أهمية بالغة ليس فقط في مجال الطبيعة والحياة الطبيعية المتواصلة، بل في مجال القضايا الخارقة مثل الولادة والموت والحياة الآخرة كحامية وداعمة للحاجات الإنسانية أيضاً، وبالتالي عملاً وارتفع شأنها إلى مقام القداسة والألوهية. هكذا وفي عصر الزراعة الحديثة الأولى، كانت الأرض قد قُدّست وعُبدت باعتبارها الآلهة العظمى والأم الكبرى، وأكثر من أي وقت مضى وفي الرؤية الإنسانية للعصر الزراعي الجديد، كانت رمزاً للرحمة، والنعمة، والخلق، وخصوبة الأرض المحروثة، وبشكل عام تجسيداً للقوى الطبيعية والخارقة للطبيعة.

(أنظر: أكرمن و آرتوب، ١٣٨٧: ١/٥٣-٥٢). من دون أدنى شك لم يكن هذا الاعتقاد بلا تأثير بنمو النباتات في الربيع ولما تلد النساء مخلوقات جديدة، فإن الأرض هي رحم تنمو فيه مخلوقات حية، هي رحم تنمو باستمرار وليس لديها أي عائق كالمرأة فيما يتعلق بإعطاء حياتها لكائن حي آخر، (أنظر إلياده، ١٣٧٢ش: ٢٥٤). هذا هو السبب في أن الأرض شُبّهت بالأم وكان أيضاً على أساس أن كل ما تحمله معها في أحشائها كان يعتبر جنيناً (إلياده، ٢٠٠٣ م: ١٦٥).

استناداً لمحصّلات علماء الآثار، كانت عبادة هذه الأم العظيمة أو الآلهة الأم منتشرة وسائدة في العديد من الثقافات، بما في ذلك ثقافة بلاد ما بين النهرين والثقافات الأخرى في جميع أنحاء العالم كثقافة البحر الأبيض المتوسط، وإيران، وآسيا الوسطى، والروم، واليونان، وقد تم العثور عليها في الاكتشافات الأثرية المتعلقة بالعصور القديمة، تُستمد العديد من رموز ملامح الآلهة من الأنثى، مما يدل عموماً على عمر عبادة هذه الأم العظيمة (سيدة الإله) في هذه المجتمعات (أنظر: بركيت، ١٩٦٣ م: شكل ١٩ - ٤).

## ١.٢ الأرض في نظام آلهة بلاد ما بين النهرين والشعوب السامية

حضارة بلاد ما بين النهرين التي تعد جزءاً من القبائل السامية والجزيرة العربية (خليل حتى، ١٣٤٤ش: ١٦) كان الاعتقاد الإيماني الأسطوري بأمومة الأرض سائداً ولقد أقرّ الباحثون العاملون في مجال الحضارات بوجود هذه القدوة العظيمة للأم الكبرى (Terra Mater) في ضمير الشعب العربي (انظر فريزر، ١٣٨٣: ٤٣٨). وعلى سبيل المثال، كتب جيرشمن (١٨٩٥-١٩٧٩ م: Roman Ghirshman) في كتابه «أنه في بلاد ما بين النهرين، كانوا يعتقدون أن الحياة هي خلق ربة النوع (وليس ربّ النوع) وأن العالم كان حاملاً وليس مولوداً، ومصدر الحياة هو الأنثى، وليس الذكر» (جيرشمن، ١٣٥٥ش: ٣٠).

وبشكل عام، هذا التلقي وحده للأرض (أي أمومتها) كانت مفاهيم تمسك بها البابليون و السومريون «للتيامت» (Tiamat) أيضاً (ثيران، ١٣٧٥: ٥٩). بعد التيامت، و في الأساطير الآشورية والبابلية الجديدة، أطلق على الأرض الأم، باسم "غاد توم" - دوغ

دراسة مفهوم الآية «وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا» وفقاً لنهج الأنثروبولوجيا الثقافية ٢٢٥

(Ga-Tum-Dug) في لاغاش (Lagash)، و باسم "باتو" (Bauo) و "ابني ني" (Innini) أو " اينانا" (Inana) في جنوب بلاد ما بين النهرين (مدينة أور) أو باسم "عولا" (Gula) و "نين خورساج" ( or Ninhursag Ninkhursag ) تعبدان. جميع هؤلاء الآلهة مثل تيامت، مثلت هذا الخالق العظيم. فيما بعد أصبح الدور الخاص لهذه الآلهة للأرض أكثر بروزاً، وكان لكلٍ منها طابعها الخاص، بما في ذلك "نيسابا" (Nisaba) آلهة المحبوب التي أشرفت على حفل الحصاد كنظيرتها «سرس» (Ceres) البابلية (انظر: Jordan، ٢٠٠٤: ٦١ و ١٣٧ و ٢٢١).

كما أن طبيعة الولادة وأمومة الأرض في التوراة مذكورة ضمناً:

«قال الرب: أنّ الأرض لتخرج مخلوقات حية من نوعها: كالأنعام والزواحف والحيوانات المفترسة والأليفة، وأصبح كذلك» (سفر التكوين ٢٤: ١).

وفقاً للكتاب المقدس، قد صرخ أيوب و هو ساجد على الأرض قائلاً:

«خرجت عارياً من رحم أمي، وسأعود عارياً إلى هناك» (أيوب ٢١: ١).

وبهذه الجملة، قد شبّهت الأرض الأم ببطن الأم.

## ٢.٢ الأرض في نظام آلهة الأمم الأخرى في العالم

جاء في بعض من قصائد هوميروس حول الأرض، ما يلي:

«أنا أغني للأرض، هذه الأم للجميع. يا أيتها الأرض الصلبة، أعظم إله، تطعمين كل شيء في هذا العالم ... تحيين و تموتين، لك سلطان منح الحياة للبشر و استردادها منهم» (وارنر، ١٣٨٩ش: ٣٩).

يعكس هذا الجزء من تكريم هوميروس بوضوح المعتقد الديني حول الأرض القديمة قدم تاريخ البشرية برقته.

عبد الإغريق أيضاً "غايا" (Gaia) أي الأرض كآلهة الأم واعتبرتها كراع خصبة للحياة (انظر إليادة، ١٣٧٢ش: ٢٣٧). هذه الآلهة تشبه "تيرا" (Tera) في الأساطير الرومانية القديمة (زيران ، ١٣٧٥ش: ٢٠-١٠)

بعد غايا أصبح "ديمتر" (Demeter) إله الزراعة والخصوبة، وكانت تعتبر الأخت و الإبنة الكبرى لزئوس وكايا. والجزء الثاني من اسمه، و هو Meter باللغة اليونانية تعني الأم. وكان يتصور في العصور القديمة أن كلمة de أو da تعني الأرض، لذلك كان إله الأرض والحارس لجميع المحاصيل والنباتات، ومن مؤيدي الحياة البشرية والحيوانية. ابنته بيرسيفون (Persephone) التي ولدت إثر ممارسة حب وتعاشق زيوس (Zeus) لديمتر متعانقين في جماع هافر، كانت تسمى أيضا "كوريا" (Kore: وهذا يعني "السيدة") وبطريقة أكثر وضوحاً أنها كانت حاملاً لثمرة المزارعين والفلاحين، لكن كلتا الألهتين (ديمتر وبيرسيفون) كانتا قريبتين جداً من بعضهما البعض حتى أنهما كانتا معروفتين في كثير من الأحيان باسم آلهة توأمية، حتى تلقبا أحياناً بديمترين، لقب يحدّد هويتهما الأصلية (وارنر، ١٣٨٩ش: ٢٩٣).

لقد تمّ ذكر أمومة الأرض في «ريگ ودا» عدة مرات، على سبيل المثال لقد جاءت: "والدي هي الأرض العظيمة" (Rig Veda I. ١٦٤ : ٣٣). وجاءت في نصوص " عتر ودا" (Atharvaveda) أيضاً: " الأرض هي أمي، أنا ابن الأرض، ... أنك تحتضن جميع الأجسام، الموتى الذين ولدوا منك سيعودون إليك في قبور ترابية" (Ath.Veda ، XIII ، ١ : ٢، ١٤).

فإن "غراممي دوي" (Gerami Devi) هي إله الأرض بالهند وهي مسؤولة مباشرة عن خصوبة الريف المحيط والأراضي المخصّبة ولربما ما تغيرت طبيعتها ووظيفتها كثيراً خلال خمسة آلاف سنة ماضية. وحتى اليوم أصبح موقعها أكثر أهمية وقيمة من آلهة شيوا (Shiva) و ويشنو (Vishno)(وارنر، ١٣٨٩ش: ٤٠) من بين قبائل «مائيوري» على جزر نيوزيلندا، كان "بابا" (Papa) يعتبر الإله الأم (نفس المصدر: ٦).

آلهة الأرض كانت تسمى "لومينوت" (Luminut) في الجزر الإندونيسية، وكان يطلق عليها بين الهيتين اسم "أريانة" (Arinna) وسماها الشعب الأمريكي (أمريكا الشمالية الأصليين) "تاماييفيت" الذين كرموا الأرض وما انفكوا مطبوعين عميقاً على قدسيّتها. وفي الصين كان يُعرف باسم آلهة "إيزانامي" (Izanami) وبين الشعوب الجرمانية "فريج" (Frigg) وكانت تقدّس كامرأة إيزيدية للبنية الأرضية (أنظر: إيادة، ١٣٧٢ش: ٢٣٨-٢٢٢؛ وارنر، ١٣٨٩ش: ٣٩٨ ؛ Lurker ، ٢٠٠٥م: ٩٢).



دراسة مفهوم الآية «وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا» وفقاً لنهج الأنثروبولوجيا الثقافية ٢٢٧

### ٣.٢ الوظائف الطقوسية للأرض في الأساطير

على كثر الزمن ومع تطوّر الزراعة والفلاحة المؤدية إلى نضوج معالم و أعمال الأرض الأم، تطورت معتقدات وممارسات عديدة حول الأرض تدريجياً. على سبيل المثال، أمر أحد مصلحي أقوام الهنود أتباعه بعدم تحريف الأرض لأنها من الخطيئة والفضاعة، الجرح وقطع أعضاء الأم لجميع البشر قاصداً الأعمال الزراعية (الإيادة، ١٣٧٢ش: ٢٤٢). كما اعتبرت قبائل "التاي" في روسيا أن قطع الحشائش هو خطيئة عظيمة لأن الأرض تعاني وتؤلم مثلما يعاني الإنسان عندما يقصّ شعره أو لحيته (نفس المصدر: ٢٥٠-٢٤٢).

وبشكل عام، لقد وصل إلينا عدد كبير من المعتقدات والأساطير والطقوس حول الأرض وأهنتها، وخاصة الأم العظيمة. بما في ذلك حقيقة أن بعض القبائل عندما يريدون تبني طفل يضعونه في حفرة حديقة يبدو مثل مسكن الآلهة الحامية أو من المفترض أن تكون مقرأً للآلهة الحامية أي الأرض الأم (نفس المصدر: ٢٣٧). وما يعنيه هذا هو أن تبني الطفل، يكون بمثابة الولادة من جديد، ولا يتم إنجاز هذه الولادة الثانوية من خلال الولادة التقليدية ووضع الطفل على ركبتي والدتها (كما هو شائع عند الرومان) بل عن طريق وضع الطفل على الثدي وبطن الأم الحقيقية أي الأرض. ومن الطبيعي أن تحلّ فيما بعد فكرة نبيلة محلّ معنى الولادة على الأرض، وهي أن الأرض حامية للأطفال ومصدر لكل قوة وطاقة والرضع مكرّسون للأرض (أي لروح الأم التي تسكن الأرض) (نفس المصدر).

وفي بعض المناطق يتمّ دفن الرماد والعظام المحروقة بالبدور، أي إنهم يحرقون ذلك الرماد وبقايا العظام المحروقة والبدور على الأرض التي حرثت وزرعت حديثاً ويقولون: انشري جسدك في رحم أمنا ومدّديه (نفس المصدر: ٢٤٦-٢٤٨). وفي بعض المناطق الأخرى يقدم الأطفال الأحياء (وهم على قيد الحياة) في القبر إلى آلهة الأرض (Nyberg، ١٩٣١م: ١٨١). بشكل عام، ونظراً للكثير من الوثائق والمستندات المتاحة، يمكن أن يفهم أنه في العصور القديمة كانت هناك ثلاث عادات تتعلق بالأرض:

١. وضع الرضع على الأرض (حتى تتمكن والدته الحقيقية من إضفاء الشرعية عليه ويتمتع الطفل بالدعم والحماية الإلهية).

٢. دفن الأطفال مقابل حرق جثث الكبار (ليعود إلى أم الأرض مرة أخرى ويولد من جديد).

٣. وضع المرضى والمحتضرين على التراب (ليتم التيامهم وشفائهم وإحيائهم، يعيشون ويولدون من جديد)

وبناءً على ذلك فإن الصورة القديمة لآلهة الأم أو الأرض الأم، ترسم كل شيء (أنظر: نفس المصدر: ٢٤٧-٢٤٥).

ما ورد أعلاه ليس سوى جزء بسيط من التقارير المتاحة حول أمومة الأرض، وقدّم إليّ في كتابه رسالة في تاريخ الأديان و جيمز فريزر في كتابه شاخه ي زرين العديد من أدلة أخرى عن المعتقدات والطقوس المتعلقة بالأرض في جميع أنحاء العالم، أدلة لها علاقة بفرضية هذه المقالة والتي تعطي انعكاسات وتأملات خطيرة في قراءة آية سورة الزلزلة. وتجنباً لإطالة الكلام، يكتفي بهذا القدر ويجيل القارئ الكريم إلى المصادر المذكورة. وتجدد الإشارة أيضاً إلى أن الكاتبة قد قامت في دراسة مستقلة بتفصيل الحقب المختلفة من تقديس الأرض وناقشت الأدلة القرآنية هناك إلى أقصى حد ممكن (أنظر: محققان، ١٣٩٦: في جميع أنحاء المقالة).

### ٣. «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» في سياق سورة الزلزلة

يجب بدايةً أن يفحص سياق الوحي للسورة في الدراسة النظرية للآية قيد النظر ومن ثم موضع الآية المعينة في تطبيقها على سورة الزلزلة، وأخيراً يتم فحص التفاسير.

#### ١.٣ السياق الظرفي لسورة الزلزلة

اختلف المفسرون في مكية سورة الزلزلة أو مدنيّتها (السيوطي، ١٤٠٤ق: ٦/ ٣٧٩). فذهب كثير منهم إلى أنها مدنيّة في قول ابن عباس والقتادة (أبي السعود، د.ت: ١٨٨/٩) بينما ذهب البعض الآخر إلى أنها مكية في قول الضحّاك وعطاء (مقاتل ابن سليمان، ١٤٢٣ق: ٤/ ٧٨٧). ويعزو الآخرون القول بمكية السورة إلى ابن عباس (الفيروزآبادي، د.ت: ٥١٦).

دراسة مفهوم الآية «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا» وفقاً لنهج الأنثروبولوجيا الثقافية ٢٢٩

يعتقد البعض أن لحن الآيات تشبه الآيات المكية لما تتناوله آياتها من حديث حول "المعاد" و "أشراط الساعة" (علامات يوم القيامة) وهي موضوعات الآيات المكية عادة. ولكن ثمة فريق آخر من المفسرين تستند إلى حديث لأبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك نظراً لأهمية زمان حياته في المدينة المنورة، تعتبر آخر آيتين من هذه السورة مدنية ولهذا السبب تحديداً السورة مدنية كلها (الطبرسي، ١٣٧٢ق: ٧٩٦/١٠).

وذهب البعض أن سورة الزلزلة قد نزلت بعد سورة الإنسان وقبل سورة البقرة في أواخر العهد المكي أو في أوائل العهد المدني (التاج: ٢١/٤). ويبدو إلى حد ما أن لهذا التصريح أكثر عقلانية من حيث أن المحتوى الرئيس للسورة هو عقيدة التوحيد والمعاد، وهذا يتعلق عموماً بالملكة المكرمة وليس بالمدينة المنورة، هذه من ناحية و من ناحية أخرى، فإن الموضوع الفرعي الخاص بالسورة يدور حول الأرض ووظائفها، وهو أمر مهم للغاية من منظور المزارعين والأشخاص الذين تعتمد سبل عيشهم على الأرض، بينما كانت صناعة أهل المدينة المنورة في كثير من الأحيان هي الزراعة ومهام الفلاحة، وصناعة أهل مكة هي التجارة، لذلك يبدو من الأحرى أن سبب نزول سورة الزلزلة هو مخاطبة أهل المدينة أيضاً، فمن المحتمل أن وحي السورة قد حدث في أوائل العهد المدني أو أواخر العهد المكي، وهذا إلى حد ما تغطي كلا الفريقين.

### ٢.٣ الآية «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا» في سياق سورة الزلزلة

موقف الآية في سورة الزلزلة على النحو التالي:

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزِلَتهَا (١) وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا (٢) وَ قَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوُا أَعْمَلَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة/ ١-٨).

واضح أن لحن الآيات تهدف إلى الإنذار ومقام الآيات هو التنذير لمجيء يوم القيامة (دروزة، ١٣٨٣: ١١٩ / ٦). يناقش القسم الأول من الآيات (١-٣) علامات الساعة أو

٢٣٠ آفاق الحضارة الإسلامية، السنة ٢٢، العدد ٢، خريف وشتاء ١٤٤٠ هـ.ق

أشراط الساعة منها تهمز الأرض و تلقي كل شيء وما كان بداخلها، ويندهش الإنسان من شدة هذه اللحظة وروعها.

وفي الجزء الثاني من الآيات (٤-٥) تشير إلى تحدّث الأرض وطبعاً يحدث هذا الخطاب والكشف عنه بطريقة الوحي الإلهي وأخيراً في القسم الثالث من الآيات (٦-٧) تتحدث عن تقسيم الناس إلى فريقين صالحة وطالحة و تبيّن أنّ كلّ فريق يرى ثمار عمله.

#### ٤. نهج المفسرين المتقدم للآية «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا»

ستصنّف في هذا القسم مواجهة المفسرين السابقين من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين فيما يتعلق بتفسير الآية، وستفحص الطرق التي تشكّلت بها هذه النظريات التفسيرية، وكذلك علاقتها من حيث الأسبقية الزمنية. إن دراسة هذه العملية في الواقع نوع من الانفتاح على القسم الطبقي، قسم التصنيف أو بالأحرى معرفة المسارات في فضاء الخطاب، ودراسة العملية التاريخية للخطاب وتطوّراته. وينقسم إلى الأنواع التالية:

#### ١.٤ اشتقاق كلمة الأثقال

إن كلمة «الأثقال» هي اسم جمع من أصل «ثقل» وقد استخدم مع كلّ مشتقاته ٢٨ مرّة في القرآن الكريم، لمفرد هذه الكلمة عدة أنواع مختلفة:

#### ١.١.٤ اثقل: الحمل

وقد وصف معظم اللغويين والمفسرين كلمة الأثقال بأنها جذر لكلمة ثقل (على وزن فكر، وعلم) أو (ثقل على وزن عنب) مما يعني عبء الشيء الذي حمله ثقبلاً (انظر: الجوهري، ١٤٠٧ ق: ٤/١٦٤٧). يؤكد هذا المعنى من الآية ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا يَشِقُّ الْأَنْفُسَ﴾ (النحل/٧) أي إن الأنعام تحمل أحمالكم الثقيلة.

وفقاً لبعض أقوال علماء القرآن، الثقل بهذا المعنى أيضاً ما هو في رحم المرأة الحامل (الفراهيدي، ١٤١٠ ق: ٥/١٣٦) ويقول العرب: و أنثقلت المرأة، فهي مثقل: نُقل حملها

دراسة مفهوم الآية «وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا» وفقاً لنهج الأنثروبولوجيا الثقافية ٢٣١

في بطنها (ابن منظور، ١٤١٤ق: ١١/ ٨٦). وفي القرآن الكريم ، يُقرأ أيضاً عبء المرأة الحامل: ﴿فَلَمَّا تَعَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ (الأعراف/ ١٨٩) (الجوهري، ١٤٠٧ق: ٤/ ١٦٤٧). لذلك ، إذا كان مسموحاً تسمية الجنين حملاً، فيمكن تسميته بالثقل أيضاً (الطبرسي، ١٣٧٢ق: ١٠/ ٧٩٧).

ويستند إلى نفس المعنى أن الأموات هم الأثقال باعتبارهم جنيناً وعبئاً في رحم الأم ببطن الأرض (انظر: بنت الشاطي، ١٣٧٦ش: ١/ ٨٥). تؤيد هذا الكلام أيضاً كلمة الأخفش وأبو عبيدة الذين قالوا: «إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها، فتسمية الأموات بالأثقال تكون على أحد هذين الوجهين» (ابن الأنباري، ١٤٢٤ق: ٦٣٨).

وللثقل في هذا المعنى ممتلكات روحية أيضاً بالإضافة إلى ممتلكات جسدية ومادية، وحالات مثل الوزر التي تسببها الخطيئة والحزن، والمشار إليها في العديد من آيات سورة العنكبوت وعلى سبيل المثال الآية ١٣ و إلخ (انظر: مهنا، د.ت: ١/ ١٥٠) أو شيمتين الكرامة والشرف من هذا النوع أيضاً لهما وزن روحي يُفسر على أنهما الثقل (السيد مرتضى، ١٩٥٤م: ١/ ٩٧).

#### ٢.١.٤ ثَقُلَ: أسباب المنزل أو أمتعة الراكب

بالنسبة لبعض اللغويين فإن كلمة الأثقال جمع جذر (ثَقُلَ على وزن عَمَلَ) وتعني متاع المسافر أو المنزل أو أي شيء ذو قيمة. وعلى هذا الأساس تعتبر ثقل استعارة لكل شيء ثمين (انظر: الفراهيدي، ١٤١٠ق: ٥/ ١٣٧).

ويعتقد البعض في ضوء هذه المعاني أنه في الآية ﴿سَنَفُزُّكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ (الرحمن/ ٣١) يشار إلى الثقلين، مجموعتي الجن والإنس والسبب في قراءة هذين وعلى هذا النحو هو الأهمية وكرامة الاثنين لأن كليهما عقلاء أذكيا وقد تم التكليف عليهما من قبل الله ومن ثم متفوقان على جميع المخلوقات الأخرى على الأرض بأسرها (من حيث العقل والتكليف) والحديث عن «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي...» يوضح أيضاً على نفس الأساس (القرشي، ١٩٩٨م: ١/ ٣١١).

#### ٢.٤ مصاديق الأثقال

لكن يبدو من الضروري فهم المصاديق المختلفة من الأثقال وما يدفع الأرض بالضبط في يوم القيامة لتحليل فرضية هذا المقال، وقد فسرها معظم علماء القرآن على أنها مصاديق مادية وخاصة للموتى، والقليلون قدموا لها معنى روحي، فيما يلي ملخص هذه الأقوال:

#### ١.٢.٤ الأثقال بالمعنى الظاهري: الشؤون المادية الجسدية

قد وافق جميع المفسرين الأوائل تقريباً في تعريف مصداقية للأثقال أنها محددة فيما يتعلق بالشؤون المادية والجسدية وما يدعم كلام هذا الفريق هو رواية لأبي هريرة تقول: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلاذَ كَبِدِهَا، أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَبِجِيءُ الْقَاطِعِ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَبِجِيءُ السَّارِقِ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ يَدِي، ثُمَّ يَدْعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا» (الخانز، ١٤١٥ق / ٤ / ٤٥٨).

لقد توصل رواة هذا الحديث في تفسير كلمات النبي (ص) بقطع طرق مختلفة للإجابة على هذا السؤال أن الأثقال تنطبق على أي شيء بالضبط. وقد عبر البعض عن ذلك بالموتى في قبور ترابية والبعض الآخر بالكنوز، وفيما يلي ملخص هذه الأقوال:

#### أولاً: الموتى

أشارت مجموعة واسعة من التعليقات الأولى إلى أن الأثقال هي جثث الموتى، بالنسبة لهذه المجموعة، كلمة الأثقال هي صيغة الجمع من جذر (ثقل) أو (ثقل) كما تدعم العديد من الآيات هذا المعنى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْواتًا﴾ (المرسلات / ٢٥-٢٦)؛ ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ (الانفطار / ٤) وقوله ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ (العاديات / ٩).

مما يؤيد كلام هذا الفريق هو روايات ابن عباس والمجاهد ونقل عنهما الطبري (انظر: الطبري، ١٤١٢ ق: ٣٠ / ١٧٢). ولقد اختار المفسرون فترات لاحقة نفس هذا الكلام في تفاسيرهم (انظر: المجاهد، ١٤١٠ ق: ٧٤١).

دراسة مفهوم الآية «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» وفقاً لنهج الأنثروبولوجيا الثقافية ٢٣٣

### ثانياً: المعادن والكنوز تحت الأرض

يستخدم هذا المعنى بشكل أساسي من قبل أولئك الذين اعتبروا أن الأثقال هو جمع من جذر (ثَقَلَ على وزن فَعَلَ) (الآلوسي، ١٤١٥ ق: ٤٣٤/١٥). لهذا السبب يتم تفسير مصطلح "الأثقال" بأنه من الأمور الثمينة والقيمة مثل الذهب. ويُنسب هذا القول إلى أشخاص مثل ابن أبي حاتم من عطية (الفيروزآبادي، د.ت: ٥١٦) بعض المؤيدين الآخرين لهذا القول هم: (السيد مرتضى، ١٩٥٤م: ٩٦/١؛ الزركشي، ١٤١٠ ق: ٤٩٠/٣). وبالطبع أضاف بعض مؤيدي هذا الفريق أيضاً أن مثل هذا الحدث مرتبط بالزلزلة الأولى في يوم القيامة وأن الآيات المذكورة تشير إلى نفس الزلزلة وإلا في الزلزلة الثانية، سيتم إخراج نفس الموتى من بطن الأرض. (أنظر: السيد مرتضى، ١٩٥٤م: ٩٦/١).

### ثالثاً: كل من المذكور أعلاه، الموتى والمعادن والكنوز تحت الأرض

ولقد اعتبر فريق من المفسرين أن ما ورد أعلاه صحيح وبالتالي جمعها معاً، ومنطقهم الاستدلالي هو استخدام كلمة «الأثقال» في صيغة الجمع و ليست المفرد، والتي يمكن أن تشمل كل من الموتى، وكذلك المعادن والكنوز الموجودة تحت الأرض (مقاتل بن سليمان، ١٤٢٣ ق: ٧٨٩/٤).

### رابعاً: العناصر الثقيلة و المواد المنصهرة في أعماق الأرض

ربما يكون البعض قد استشهد بهذا القول في السنوات الأخيرة على أنها تشير إلى قذف العناصر الثقيلة والمواد المذابة من أعماق الأرض وعادة ما تخرج منه قليلاً خلال البراكين والزلازل ولكن في نهاية العالم وعند بدء البعث والنشور وإثر حدوث الزلزلة الهائلة المفزعة يتم قذف كل ما بداخل الأرض تماماً. (مكارم الشيرازي، ١٣٧٤ ش: ٢٧/٢٢٢) وليس من المستبعد أن ما أشار إليه تفسير فخر الرازي من أثقال الأرض بالأسرار المكنونة للأرض، في سياق المشار إليها تحت عنوان الشعب الثالث هو إشارة إلى مثل هذه الأمور (ان الرازي، ١٤٢٠ ق: ٢٥٤/٣٢).

#### ٢.٢.٤ الأثقال بالمعنى الروحي: أفعال الإنسان

اعتبرت فريق من المفسرين وعلماء القرآن في الأدوار الأخيرة و ذلك مع احتمال ضعيف، أن أثقال الأرض هي نفس الأعمال البشرية (ابن العربي، ١٤٢٢ق : ٢/٤٥٠).

تشير التوضيحات المكتوبة والمقارنات المذكورة أعلاه للفريقين من «ألف وب» أنه بالنسبة للمفسرين الأوائل والمتأخرين فإن الأساس القائل بأن الأثقال هي الأشياء الجسدية والمادية تكون واضحة للغاية ولا تحتاج إلى تفسير.

#### ٣.٤ المناهج البلاغية المختلفة للآية «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا»

وهناك طريقتان رئيستان بشكل عام لقراءة الآية المذكورة، وبالتالي تفسير سورة الزلزلة:

#### ١.٣.٤ المنهج الأول: معرفة اللغة المجازية للآية «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا»

لقد اعتبر عدد كبير من المفسرين الأوائل وعلماء القرآن وعلماء الأدب والبلاغيون الآية «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» (الزلزلة/ ٢) من أنواع المجاز (اللغوية/ العقلية) وهم يعتقدون أن الأرض تدلّ على معناها الحقيقي وأن إخراج الأرض أثقالها هي قضية حقيقة واقعية. ولكن نظراً لكيونونة الأرض أنها ليست عقلانية وهي المكان الوحيد الذي يحدث فيه مثل هذا حدوث إخراج الأثقال، فإن هذه المستندات من النوع المستعار به (المجاز) سواء كان عقلانياً أو تركيبياً (السيوطي، ١٤٢١ق : ٢/٣١) وعلى هذا الأساس، فإن آية «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» هي أيضاً آية مقبولة من أنواع المجاز العقلي حيث أنها تتعلق بتحدث الأرض وكلامها وقد نسبت إليها هذه الشيمة بينما هي مخلوق غير حيوي وغير واعى (الطريحي، ١٣٧٥ق : ٣/٢٨٢).

ومع ذلك فقد اعتبر البعض مثل السكاكي، هذا النوع من العقاب العقلاني بمثابة الاستعارة (الكناية) وقدموا الأرض كفاعل مجازي (السكاكي، ١٤٠٧ق : ٤٠١-٣٩٧). يرى فريق آخر من مؤيدي هذه النظرة الاستعارية أن الأرض في هذه الآية تشبه إنساناً إنثاءً (ابن الأثير الجزري، ١٣٩٩ق : ٣/٤٧٠).

فيما يلي سوف نوضح نوعيّة هذا التشبيه وكيفية إخراج هذه الأثقال.



دراسة مفهوم الآية «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» وفقاً لنهج الأنثروبولوجيا الثقافية ٢٣٥

#### ٢.٣.٤ المنهج الثاني: معرفة الحقيقة اللغوية للآية «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا»

لقد اعتبر فريق آخر من المفسرين أن لسان هذه الآيات غير مجازية ولكنها حقيقة واقعية، حيث أن الأرض نفسها واعية وقادرة على أن تكون موجهة إلى الوحي الإلهي ومن هناك إخراج أثقالها بالعقلانية والتحدث والكلام. أساساً من وجهة نظر هذا الفريق والذين معظمهم من الصوفيين، الأرض وجميع الأجرام السماوية قادرة على الشعور والفهم، لكن تحقيق هذا الفهم في هذا العالم لا يمكن إلا لأهل المعنى، وأما في يوم القيامة عندما تسقط الحجب، سوف تتكشف الحقيقة لكل البشر (ابن جزري، ١٤١٦ق: ٥٠٣/٢).

تدعم كلام هذا الفريق من المفسرين هذه الآيات ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء/٤٤) أو ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (فصلت/٢١) وتستفاد منها أن الحياة والفكر موجودون في جميع المخلوقات، رغم أننا لسنا على علم بطريقتهم في الحياة (الطباطبائي، ١٤١٧ق: ٣٤٣/٢).

ولكن في غضون ذلك قد حمل بعض الصوفيين جميع عناصر السورة ليس على العالم العظيم، بل على العالم الصغير، والروح البشرية وقواها التابعة. ومن وجهة نظرهم فإن الأرض هي نفس روح البشرية التي تهتز به الكوارث الأرضية (أنظر: ملاصدرا، ١٤٢٣ ق: ٣١٦ - ٣١٥).

#### ٤.٤ مناهج تفسيرية مختلفة للآية «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا»

ثمّة بعض مواطن الخلاف بين المفسرين حول كيفية إخراج الأثقال، هل هذا الإخراج بلسان الحال أو بلسان القول؟ بمعنى هل تضع الأرض حقاً أثقالها، أو أن لهذه العملية معنى مجازي تشير إليه الآيات التالية؟

بشكل عام وبناءً على مصاديق مختلفة قدمت للأثقال ينقسم المفسرون في تفسير هذه الآية إلى فريقين:

#### ١.٤.٤ إخراج الأثقال بلسان الحالية

قام فريق كبير من المفسرين الأوائل والمتأخرين بتفسير الآية على أنها معنى يشير إلى لسان الحال ووضع الأرض حملها يوم القيامة.

من وجهة نظر هذا الفريق، الآية المذكورة أعلاه شبّهت الأرض كإمراة حامل في يوم القيامة، جسدها مشقوق (تشقق ظهرها) وبالتالي فإنها تزيل الثقل في بطنها: «كأن الأرض امرأة حامل أتقلت بما في بطنها فأخرجت ما فيه» أو «تُخْرِجُ الْأَنْثَالَ يَعْنِي الْمَوْتَى أَحْيَاءَ كَالْأُمَّ تَلِدُهُ حَيًّا» (المجاهد، ١٤١٠ق: ٧٤١؛ مقاتل بن سليمان، ١٤٢٣ق: ٧٨٩/٤ و إلخ).

يؤمن هذا الفريق أنما يؤيد هذا المعنى ويسبب هذا التشابه والتمثيل هو الآية التالية التي تصف الجنين الموجود في بطن المرأة الحامل بالثقل والعبء: ﴿حَمَلْتُ حَمَلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَنْقَلْتُ دَعَاؤَ اللَّهِ رَبَّهُمَا﴾ (الأعراف/ ١٨٩). وقد وصف البعض حالة حمل الأرض كمصدق من الآية ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ (الحج/ ٢) (الرازي، ١٤٢٠ق: ٣٢/ ٢٥٤).

وقد وافق السيد مرتضى هذا الرأي باعتباره استعارة للتعبير عن معنى تغيير مجرى الحياة الدنيوية وبداية الحياة الأخروية، وفي رأيه ما تظهر الأرض بهذه الوسيلة هو ينوب عن نطقها الكلامي (انظر: السيد المرتضى، ١٩٥٤ ق: ١/ ٩٧-٩٥).

باتباع هذا المعنى لإخراج الأنتقال، تحدث الأرض والذي يتحدث عنه أيضاً في الآية التالية ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (الزلزلة/ ٤) هناك نوعان من وجهات النظر:

#### أ) تحدث الأرض بلسان الحال

الذين وافقوا من المفسرين على إخراج الأرض أفتالها بلسان الحال دون المقال، وافق فريق من هؤلاء على أن تحدث الأرض أتى بلسان حالها وفي الواقع من وجهة نظر هذا الفريق فإن هذا الإخراج و وضع الأرض حملها هما نفس تحدث الأرض وهكذا فإن هاتين الآيتين تدلان على واقع واحد وحدث واحد، وليس أن إخراج الأرض يحدث أولاً ثم تنفوه الأرض بالكلام وتبدأ تتحدث وتبعاً لذلك في الآية ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ (الزلزلة/ ٥) معنى الوحي الإلهي هو نفس إذن للأرض لوضع حملها والكشف عن شؤونها الخفية. والطبري من مؤيدي هذا القول، وقد نقله البعض وفقاً له (انظر الطبري، ١٤١٢ ق: ٣٠/ ١٧٢؛ الزحيلي، ١٤١٨ق: ٣/ ٢٩١٤).

تدعم كلام أنصار هذا الفريق قراءات أشخاص مثل ابن مسعود وسعيد بن جبیر الذين قرأوا الآية ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (الزلزلة/ ٤) إلى «يَوْمَئِذٍ تَنْبِئُ أَخْبَارَهَا» (انظر: السيوطي، ١٤٠٤ق: ٦/ ٣٨٠؛ الطبري، ١٤١٢ ق: ٣/ ١٧٢). ونظر فريق من المفسرين مثل

دراسة مفهوم الآية «وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» وفقاً لنهج الأنثروبولوجيا الثقافية ٢٣٧

الزخمشري إلى أن هذا النوع من تحدث الأرض هو نوع من المجاز (راجع الزخمشري، ١٤٠٧ ق: ٧٨٤/٤) بينما يعتبر البعض مثل ملاصدرا هذا النوع من المطالبة بالأرض حقيقةً بسبب إرادة الأرض واختيارها وسيجري هذا مؤكداً (انظر: ملاصدرا، ١٣٦٦ ش: ٧/٤٢٦).

#### ب) تحدّث الأرض بلسان القال

يدّعي معظم المفسرين الذين وافقوا على إخراج الأرض أثقالها في لسان حالها أنه يأتي دور التحدث المتعلقة بالأرض بعد مرحلة إخراج الأرض أثقالها وبعبارة أخرى في المرحلة الأولى تُلقِي الأرض أثقالها بلسان الحال ثم في المرحلة الثانية، تتحدّث وتشهد بكلماتها عن أفعال العباد (ابن جزري، ١٤١٦ ق: ٥٠٣/٢؛ الماوردي، د.ت: ٦/٣١٩، إلخ).

واستند أنصار هذا القول إلى رواية لأبي هريرة (انظر: القرطبي، ١٣٦٤ ق: ٢/١٤٨) وفي مكان آخر ينسب السيوطي هذا القول إلى النبي (ص) من كلمات أنس بن مالك (راجع: السيوطي، ١٤٠٤ ق: ٦/٣٨٠). وعلّق على هذا القول أيضاً ابن مسعود والثوري وآخرين في كتب البخاري، والنسائي، ومالك، وأحمد: «فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَدِّنِ، جِنَّ وَلَا إِنْسٍ وَلَا شَيْءٍ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (راجع: الزحيلي، ١٤١٨ ق: ٣/٢٩١٤).

بالطبع هناك المزيد من الخلافات حول كيفية نطق الأرض، يتجنّب ذكرها هنا بسبب عدم الإطالة وعدم التواصل مع النصّ الحالي.

#### ٢.٤.٤ إخراج الأثقال بلسان القال (المقال)

قد قام عدد قليل من المفسرين المتأخرين وعلى عكس من الفريق الأول بتفسير إخراج الأثقال بلسان "القال" و شهادة الأرض على أعمال العباد، في الحقيقة ومن وجهة نظر هذا الفريق فإن كلمة الأثقال لا تعني الموتى في قبور ترابية والكنوز أو الأشياء المادية والجسدية الأخرى، بل لها الجانب الروحي بمعنى الكلمات غير المعلنة والأخبار التي لا توصف والأحاديث التي تراكمت على الأرض من الأعمال والسلوكيات البشرية وفي يوم القيامة يتم نطقها والتكشف عنها جميعاً، وبالتالي سوف تتحرر من عبء هذه الأثقال (انظر: البيضاوي، ١٤١٨ ق: ٥/٣٣٠؛ ابن عربي، ١٤٢٢ ق: ٢/٤٥٠ وما إلى ذلك).

وقد ذكر البعض ذلك باعتباره قولاً ضعيفاً له شعبية قليلة (انظر: الطبري، ١٤١٢ ق: ١٧٢/٣٠؛ الزمخشري، ١٤٠٧ ق: ٧٨٤/٤).

في ضوء ما تقدّم وبالعودة إلى القرون المتقدمة ينبغي الإشارة إلى أن حالتين من المصاديق للأثقال (الموتى والكنوز) على الرغم من أنها كانت سائدة منذ القرون الأولى، قد لوحظت في الرموز الثقافية والدينية المتعلقة بالأرض، وبثبت الموتى لهذه المصاديق بين الأمم القديمة وسناقش هذا بمزيد من التفصيل أدناه.

#### ٥.٤ تشابه الآية «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» بالآيات القرآنية الأخرى

كثيراً ما استشهد المفسرون وعلماء القرآن في تفاسيرهم بأوجه التشابه لآية سورة الزلزلة بالآيات القرآنية الأخرى ومن بين هذه الآيات الإشارة إلى آيات سورة الانشقاق التي تفيد لإثبات هذه الفرضية:

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَ حُتَّتْ﴾ (انشقاق/ ٥-٤)

كما تتحدث في سورة الزلزلة عن إفراغ الأرض في يوم القيامة وتحلية كل شيء في بطنها، فإن نفس الآيات في سورة الانشقاق تتحدث عن هذا أيضاً، موضحاً أن:

فعل "ألقت" هو من جذر "لقى" وله معانٍ مختلفة، من بين هذه المعاني هو رمي شيء ما (ابن فارس، ١٤٠٤ ق: ٢٦١/٥). واستخدم هذا المعنى في العديد من الآيات الأخرى كالآية هذه ﴿وَقَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْتَ تُلْقِي وَ إِنَّمَا أَنْتَ نَكُونُ نَحْنُ الْمُلقِينَ﴾ (الأعراف/ ١٥) ولهذا السبب فإن آية سورة الانشقاق التي تتنبأ بمستقبل الأرض عشية القيامة هو إخراج محتويات الأرض من بطنها.

ثمة نقطة مهمة أخرى يجب ملاحظتها في التعليقات المقدمة تحت آية سورة الانشقاق وهي أن معظم المفسرين الأوائل قد أشاروا فقط إلى خروج الأموات من قلب الأرض واعتبروا ذلك معنى الآية (انظر: مقاتل بن سليمان، ١٤٢٣ ق: ٦٣٣/٤). وفي الواقع يعتقد المفسرون أن آيات سورة الانشقاق تعني أيضاً نفس هذه الآيات: ﴿وَ إِذَا الْقُبُورُ

دراسة مفهوم الآية «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» وفقاً لنهج الأنثروبولوجيا الثقافية ٢٣٩

﴿بُعِثِرَتْ﴾ (الانفطار/ ٤) و﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَيْأَنَّهُمْ جِرَارٌ مِّنْتَشِرُونَ﴾ (قمر/ ٧)  
(انظر: ابن كثير، ١٤١٩ق: ٨/٤٦١).

فقد حظى هذا القول بين جمهور المفسرين بتأييد وثقة المؤيدين في القرون التالية أيضاً (ابن جزي، ١٤١٦ق: ٢/٤٦٤؛ الغزالي، د.ت: ٤/٦٤؛ دروزة، ١٣٨٣ق: ٥/٤٢٣، إلخ). من وجهة نظر مؤيدين بهذا الفريق، فإن الأرض تشبه المرأة الحامل التي تلقي ثقل بطنها إلى الخارج بدافع الخوف والرهبة والاضطرار (القرطبي، ١٣٦٤ق: ٢٠/٢٧٠). المستندات النصية لمعظم مؤيدي هذا الفريق هي الروايات المنقولة التي أخرجها سعيد بن جبير والقنادة والجاهد (الطبري، ١٤١٢ق: ٣٠/١٧٣).

وقفنا متأنياً في التفاسير المتقدمة يمكننا الوصول إلى هذه النقطة أهما فقط خلال كثر الزمن تتقدم حالات إخراج المعادن والكنوز كمحتويات الأرض في مثل هذا الحدث ويبدو أن رائد هذا القول هو أبو إسحاق الزجاج (٢٤١ - ٣١١ق) الذي ذكر هذه المسألة في تعليقه تحت آية سورة الانشقاق (الزجاج، ١٤٠٨ق: ٥/٣٠٣) واكتسب رأيه شعبية تدريجية (انظر: الزخشري، ١٤٠٧ق: ٤/٧٢٦؛ الرازي، ١٤٢٠ق: ٣١/٩٧؛ إلخ).

بصرف النظر عن آيات سورة الانشقاق فإن العديد من الآيات القرآنية أيضاً هي مرادف لمعنى الآية سورة الزلزلة وهنا يكتفي بهذا القدر تجنباً عن الإطالة والإسهاب.

## ٥. إعادة قراءة الآية «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» بناءً على نتائج الأنثروبولوجيا الثقافية

الآن ومن خلال تطبيق الوعي الثقافي المذكور على آيات القرآن الكريم وفي الجزء الأول من هذا المقال ستعاد قراءة الآية المعينة والسؤال الأساسي هو: هل نظر أهل شبه الجزيرة العربية إلى الأرض بالطريقة نفسها التي نظرت فيها إلى تجسيد الأمومة خاصة بطريقة أو بأخرى في عصر الوحي والنزول للقرآن الكريم؟

الإجابة على هذا السؤال تبدو نعم، والتفسير المستخدم في الآية قيد النظر: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ والاهتمام بتفاسيره المشابهة في القرآن الكريم (بما في ذلك) ﴿فَلَمَّا

أَنْقَلَتْ ﴿الأعراف/ ١٨٩﴾ إلى جانب الأدلة الأخرى ذات الصلة مثل ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّت﴾ (الانشقاق/ ٥-٤)؛ ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ (الانفطار/ ٤) و﴿يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ (القمر/ ٧)، إنها تجعل الأمر خطيراً للغاية حيث أن الأرض من منظور المخاطبين الأولية لهذا النص، كانت تُعتبر أمماً عظيمة، وكانت ذات قيمة وقدسية خاصة مبيّلة مكرّمة. وبعبارة أخرى كان الناس (العرب القدامى) في ذلك الوقت قادرين على فهم المكونات الدلالية للأرض الأم بسبب سماتها الأمومة وفي الدرجة الأولى يتم هذا التعاقب من قبل إعطاء الحيوية للبشرية وغيرها من الكائنات، وفي المرحلة التالية من قبل بعض المكونات الخفية مثل العطاء، والتغذية، وعملية التطهير وإلخ.

وفي هذه الحالة كانت الآية المدروسة في سورة الزلزلة أكثر من أن تتأثر باللغة المجازية لمخاطبيها وتكون مجرد استعارة أو تمثيل أو تشبيه أو المجاز كان يمكن أن تكون بسهولة لسان الحقيقة بالنسبة للعرب النازع إلى الطبيعة أي الطبيعيون، والأرض تعتبر بالفعل الأم الكبرى (يعنى هي قضية حقيقة واقعية لا المجازية). وفقاً لمتلقي هذا النص، واستناداً لآيات سورة الزلزلة، فإن هذه الأم العظيمة تلد حقاً يوم القيامة وتنتهي أمومتها عن طريق إزالة جميع محتويات بطنها. ومن ذلك الحين فصاعداً لن تكون الأرض هي الأرض التي عرفوها حتى ذلك اليوم، لكنها ستتحول إلى أرض أخرى غير الأرض السابقة ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ (إبراهيم/ ٤٨) (مقاتل بن سليمان، ١٤٢٣ ق: ٤/٧٨٩).

وبالطبع هذه الإشارة في القرآن الكريم لا تعني بالضرورة تأييد نظرة المخاطبين في عصر التنزيل من قبل الله سبحانه وتعالى، ولكن فقط كوسيلة لإثبات قوة الله سبحانه وتعالى في مثل هذه العملية و إحاطته على هذه الأم العظيمة لتفهم و تدرك مكانة الله سبحانه وتعالى لمتلقي هذا النص بشكل أسرع وتذكر منزلة الله بالنسبة لهذه الأم العظيمة بشكل أكبر عمقاً وجدة. مما يؤكد هذا الكلام هو الآية ﴿يَأْتِيَنَّكَ رَّبُّكَ أُوحَىٰ لَهَا﴾ (الزلزلة/ ٥) التي تنقل كل هذه الأمور إلى رب الرسول الأكرم (ص) (رَبُّكَ) - والوحي الذي أرسله إلى الأرض (أوحى لها)؛ لكي ينتبه المتلقي بالمكانة الأعلى لله سبحانه وتعالى و المكانة السفلى للأم العظيمة وأن يفهموا أن الأرض هي قوة إلهية تتجلى بإذن الله. وبالتالي فإن وظيفة هذا الانطباع في القرآن

دراسة مفهوم الآية «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا» وفقاً لنهج الأنثروبولوجيا الثقافية ٢٤١

الكريم هي منهج تعليمي يهدف إلى تعريف الله وإثبات قوته أيضاً وهذا الأسلوب الخطابي وأسلوب تسليم الرسالة له تأثير أكبر على المتلقي وترافق متانة الرسالة وديمومتها في روحهم.

## ٦. النتائج

درَسَ هذا البحث أحد المعتقدات المذهبية القائمة على الأرض استناداً إلى النصوص القديمة والمصادر الأنثروبولوجية الثقافية في بلاد ما بين النهرين وأرض القبائل السامية ومناقشة شواهد التطبيقية في القرآن الكريم. والعينة المدروسة كانت حول المعتقدات ذات الصلة بأمومة الأرض، والتي تنعكس على وجه التحديد في الآية ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا﴾ (الزلزلة/٢).

كما فسّر فيما سبق لعبت الأرض مكانة مرموقة ومهمة في معتقدات البشر القدامى ولقد قدّست وعبّدت كمصدر للكائنات البشرية وغيرها من الكائنات ووفقاً للأدلة المقدمة في هذا المقال تمكّنت الأمم القديمة و بما في ذلك العرب في شبه الجزيرة العربية من فهم المكونات الدلالية للأمم في ضوء الأرض وسماتها الأمومة، وفي الدرجة الأولى يتم هذا التعاقب من قبل إعطاء الحيوية للبشرية وغيرها من الكائنات، وفي المرحلة التالية من قبل بعض المكونات الخفية مثل العطاء، والتغذية، وعملية التطهير وإلخ بواسطة هذه الأم الكبرى.

لقد أظهرت هذه الدراسة أن القرآن الكريم في الآية المعينة في سورة الزلزلة استحضّر هذا الاعتقاد القديم و ذلك ليس عن طريق الاستعارة أو المجاز، بل على سبيل الحقيقة ليتمكّن من خلاله تعريف موقف الله سبحانه وتعالى والكشف عن موقفه الأعلى ومنزلته الصدارة بالنسبة للموقف السفلي لهذه الأم العظيمة، بنقل المشهد المفزع المخيف المذهل للقيامة إلى متلقّينهم بشكل أوضح وبالتالي إرسال رسالته إليهم بطريقة أسرع. لذلك قد يكون من الأفضل الاعتقاد بأن التلميح الثقافي المذكور أعلاه في سورة الزلزلة لها نُهج تعليمي وينبغي النظر إليه من منظور المعتقدات بدلاً من الإيديولوجية. وبالطبع هذا الإيمان وهذا الانطباع لا يعني بالضرورة تأييد رؤية المتلقي من قبل الله سبحانه وتعالى، بل هو كأداة بلاغية فقط لمزيد من التأثير على المتلقين وضمان أن تظل الرسالة خالدة بأعماق نفوسهم و قلوبهم.

وأخيراً بناءً على ما فسّر، يمكن القول أن غالبية المفسرين على الرغم من تفسير الأثقال إلى "الموتى" والاعتراف بوجود هذا الحدث بلسان الحال دون المقال، إلا أنهم لأجل تأثرهم بتعاليم الأدوار المتأخرة قد ساقوا لسان الآية المذكورة إلى المجاز، لعلهم ما كانوا على معرفة ودراية بالأفكار القديمة حول الأرض.

## الهوامش

١. ثمة حديث جاء في كتاب مجمع البيان عن أبي سعيد الخدري أنه سأل النبي (ص) حين نزول هذه السورة عن الآية ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ونحن نعرف أبو سعيد انضم إلى المسلمين في المدينة المنورة (أنظر: الطبرسي، ١٣٧٢ ق: ١٠ / ٧٩٦).

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

### ١. الكتب

#### العربية

إبن جزري الغرناطي، محمد بن احمد، (١٤١٦ق)، التسهيل لعلوم التنزيل، بيروت: شركت دار الأرقم بن ابى الأرقم.

إبن عربي، محيي الدين محمد، (١٤٢٢ق)، تفسير ابن عربي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

إبن منظور، محمد بن مكرم، (١٤١٤ق)، لسان العرب، بيروت: دارالفكر.

أبي السعود، محمد، (د.ت)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الجوهري، إسماعيل، (١٤٠٧ق)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، بيروت: دار العلم للملايين.

الخازن، علاء الدين علي، (١٤١٥ق)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح محمدعلي شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية.



دراسة مفهوم الآية «وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا» وفقاً لنهج الأنثروبولوجيا الثقافية ٢٤٣

- دروزة، محمد عزت، (١٣٨٣ق)، التفسير الحديث، قاهره: دار إحياء الكتب العربية.
- رازي، فخرالدين، (١٤٢٠ ق)، مفاتيح الغيب، بيروت: دار احياء التراث العربي.
- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، (١٤٠٨ق)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، بيروت: عالم الكتب.
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (١٤١٨ق)، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج، ط٢، بيروت: دار الفكر المعاصر.
- الزركشي، محمد، (١٤١٠ق)، البرهان في علوم القرآن، بيروت: دار المعرفة
- زنجشيري، محمود، (١٤٠٧ق)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي .
- السكاكي، يوسف، (١٣٩٧م)، مفتاح العلوم، مصر: مطبعة البابي.
- سيدمرتضى، على بن حسين، (١٣٧٧)، تنزيه الأنبياء عليهم السلام، قم: دار الشريف الرضي
- سيوطي، جلال الدين، (١٤٠٤ق)، الدر المنثور في تفسير المأثور، قم: كتابخانه آية الله مرعشي نجفي.
- سيوطي، جلال الدين، (١٤٢١ق)، الاتقان في علوم القرآن، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتاب العربي.
- صدرالمثلهين (ملاصدرا)، محمد بن ابراهيم، (١٣٦٦ش)، تفسير القرآن الكريم (صدر)، ط٢، قم: بيدار.
- طباطبائي، محمد حسين، (١٤١٧ ق)، الميزان، قم: جامعه مدرسين حوزه علميه قم.
- طبرسي، فضل، (١٣٧٢ق)، مجمع البيان ، تهران: ناصر خسرو.
- طبري، محمد، (١٤١٢ق)، جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت: دارالعرفه.
- طريحي، فخر الدين، (١٣٧٥ق)، مجمع البحرين، تهران: مرتضوى.
- فراهيدى، خليل احمد، (١٤١٠ق)، العين، قم: هجرت.
- فراء، يحيى، (د.ت)، معاني القرآن، مصر: دارالمصريه للتأليف والترجمة .
- فيروزآبادى، محمد، (د.ت)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، لبنان: دار الكتب العلمية.
- قرطبي، محمد بن احمد، (١٣٦٤ق)، الجامع لأحكام القرآن، تهران: ناصر خسرو .
- الماوردي، علي، (د.ت)، تفسير الماوردي = النكت والعيون، تحقيق ابن عبد المقصود، بيروت: دار الكتب العلمية.
- مجاهد، ابن جبر، (١٤١٠ق)، تفسير مجاهد، تحقيق محمد عبد السلام، مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثه.
- مقاتل بن سليمان، (١٤٢٣ق)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاته، بيروت: دار إحياء التراث.
- مهنا، عبد الله علي، (د.ت)، لسان اللسان، بيروت: دار الكتب العلمية.

### الفارسية

إلياده، ميرجاده، (۱۳۷۲ش)، رساله در تاريخ اديان، ترجمة جلال ستاري، تهران: سروش.  
بنت الشاطي، عائشة عبد الرحمن، (۱۳۷۶ش)، الاعجاز البياني، ترجمة حسين صابري، تهران: اعلمي و  
فرهنگي.

تحليل حتى، (۱۳۴۴ش)، تاريخ عرب، ترجمة ابوالقاسم پاينده، تهران: آگاه.  
ژيران، ف و لاکوئه، ک و دلپورت، ل، (۱۳۷۵ش)، اساطير آشور و بابل، ترجمة ابوالقاسم اسماعيلپور،  
تهران: فکر روز.

فريزر، جيمز جورج، (۱۳۸۳ش)، شاخه زرین: پژوهشي در جادو و دين، ترجمة کاظم فيروزمنند، تهران:  
آگاه.

قرائي مقدم، امان الله، (۱۳۸۲ش)، انسان شناسي فرهنگي (مردم شناسي فرهنگي)، تهران: ابجد.  
قرشي، سيد علي اکبر، (۱۳۷۷ش)، تفسير احسن الحديث، الطبعة الثالثة، تهران: بنياد بعثت.  
گريشمن، ر، (۱۳۵۵ش)، ايران از آغاز تا اسلام، ترجمه محمد معين، تهران: النشر و ترجمة الكتاب.  
مکارم شيرازي، ناصر، (۱۳۷۴ش)، تفسير نمونه، تهران: دار الكتب الإسلامية.  
وارنر، رکس، (۱۳۸۹ش)، دانشنامه اساطير جهان، ترجمة احمد آرام و همکاران، تهران: مؤسسه التعليم  
اسطوره.  
ويل دورانت، ويليام جيمز، (۱۳۶۵ش)، تاريخ تمدن، ترجمة احمد آرام و همکاران، تهران: مؤسسه التعليم  
انقلاب اسلامي.

### الإنجليزية

Atharva-Veda Samhita. (1905). Translated by William Dwight Whitney. Harvard University.  
Burkitt. Miles. (1963). The Old Stone Age. London: Atheneum. 4 th .  
Jordan, Michael. (2004). Encyclopedia of Gods: Dictionary of Gods and Goddesses, Second  
Edition, Kyle Cathie Limited, Printed in the United States of America.  
Lurker. Manfred. (2005). The Routledge Dictionary of Gods and Goddesses, Devils and  
Demons. New York Routledge. 3th.  
Nyberg, Berthal. (1931). Kind und Erde (Helsinki), n.69, pp.230-13.

### ۲. المجلات

محققان، زهرا، (۱۳۹۶)، «اصل مادينه هستي در قرآن كريم»، مجلة مطالعات قرآني و فرهنگ اسلامي،  
سنة ۱، العدد ۴، صص ۱۷۰-۱۴۵.

دراسة مفهوم الآية «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» وفقاً لنهج الأنثروبولوجيا الثقافية ٢٤٥

محققان، زهرا، (١٣٩٨ الف)، «كهن الگوى وصلت مینوی در قرآن کریم»، مجله نقد ادبی، سنة ١٢، العدد ٤٥، صص ١٥١-١١١.

محققان، زهرا، (١٣٩٨ ب)، «تحلیل کهن الگویی رؤیای حضرت یوسف (ع) پایه نمادها و اسطوره های اقوام سامی»، مجله مطالعات تاریخی قرآن و حدیث، سنة ٢٥، العدد ٦٥، صص ١٨٢-١٥٥.

## بازخوانی مفهوم آیه «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» با رویکرد انسان‌شناسی فرهنگی

زهرا محققیان\*

### چکیده

آیه دوم سوره زلزال که از اخراج اثقال زمین در روز قیامت و تحدیث آن خبر می‌دهد؛ در میان عمده مفسران و قرآن پژوهان، باوری مجازین مرتبط با روز قیامت تلقی شده است که کارکردهای استعاری زمین را در قرآن کریم آشکار می‌سازد. این در حالیست که کاوش در باورهای کهن فرهنگی منطقه بین‌النهرین و سرزمین اقوام سامی نشان از آن دارد که آنچه در زبان این آیه موجود است نه تنها مجاز و استعاره نیست بلکه باورهایی استوار در فرهنگ گذشتگان اعم از اعراب و غیر اعراب است که اکنون بر محمل زبان به آیات قرآن کریم راه یافته است. این نوشتار بعد از واکاوی رویاورد مفسران به این آیه، به بررسی مؤیدات این ادعا می‌پردازد و براساس یک شناخت فرهنگی مربوط به پیش از اسلام و نیز ادبیات تفسیری سده‌های متقدم، آیه فوق را در سیاقی که در آن واقع شده است؛ بازخوانی می‌کند.

**کلیدواژه‌ها:** انسان‌شناسی فرهنگی، مادرزمین، زبان حقیقت و مجاز، استعاره.

---

\* استادیار پژوهشکده مطالعات قرآنی، پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی، z.mohagheghian@ihcs.ac.ir